

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣٤)

الإفادة في بيان أن الغاية من خلق الخليقة هي تحقيق العبادة

الحمد لله نعمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]
 أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم،
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
 أيها الناس :

يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧) [هود: ٧]

وقال جل وعلا ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢) [المملك: ٢]

معاشر المسلمين بين ربنا سبحانه وتقدس في هذه الآيات وغيرها وأوضح أنه ما خلق الثقلين من الجن والإنس بل والسموات والأرض بل والموت والحياة إلا من أجل تحقيق تلك الغاية العظيمة والمنزلة الكريمة وهي عبادته سبحانه وتعالى والقيام بها.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦]: أَيُّ إِلَّا لِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَتِي وَتَبْلِيهِمْ أَيُّ اخْتَبَرْتُهُمْ بِالتَّكْلِيفِ ، ثُمَّ أَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. ١. هـ (١)

وتهدد جل وعلا بالعذاب الأليم من زعم أنه خلق السموات والأرض لغير حكمة التكليف والأمر والنهي فقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمَّا جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحِينَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَرْزَنَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ
لِيَذَّبُوا عَنْ بُيُوتِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ لِيُنْذَرُوا ﴿٢٩﴾ [ص: ٢٩]

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم
ليعبدوه ويوحده ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال
تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَئِذَا كُفِرُوا مِنْ
النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط،
﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أَي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة
لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال: ﴿أَمْ
نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ أَي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من
دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر. هـ (١)

وأوضح سبحانه تنزيه خُلص عباده له عن ذلك فقال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارِ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ [آل عمران: ١٩٣]

وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ لِيَقُومَ الْخَلْقُ بِعِبَادَتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ ﴿١١٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ [النجم: ٣٢]

وَنَزَّهَهُ - تَعَالَى - نَفْسُهُ عَنْ كَوْنِهِ خَلَقَ الْخَلْقَ عَبَثًا ، لَا لِتَكْلِيفٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ ظَنَّهُ فَقَالَ جَل وَعَلَا ﴿١١٢﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦]

وَذَكَرَ عِبَادَهُ بَعْضُهُمْ خَلْقَهُ وَكَثْرَةَ نِعَمِهِ وَتَسْهِيلَ مَخْلُوقَاتِهِ لِعِبَادَتِهِ كُلِّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ عِبَادَتِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ جَل وَعَلَا ﴿١١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

وبين سبحانه أنه كما تفرد بالخلق والإيجاد للقيام بوظيفة العبادة له فلا بد أن يفرد بالعبادة والطاعة فكما أنه الخالق وحده وغيره لا يستطيع خلقا ولا إيجادا من العدم فلا بد إذا أن يفرد بالعبادة وأنكر على أهل الشرك عبادتهم آلهة لا تخلق شيئا ولا تملك نفعا ولا ضرا ولا رشدا.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْهِنُونَ
 ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا
 يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل: ٢١]

وقال سبحانه وتعالى ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
 لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
 أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
 ﴿١٦﴾ [الرعد: ١٦]

وذلك أن من يملك السماوات والأرض والضر والنفع والخلق هو المستحق
 للعبادة والمتفرد بها .

وبين سبحانه وتعالى أنه ما ابتدأ الخلق ثم هو يعيده وما جعل البعث والنشور
 والمرجع والمآب إليه إلا ليجزي من حقق هذه الغاية بعظيم الجزاء وأكرمه
 ، ويعذب من لم يحقق تلك الغاية بما يستحقه من العذاب والنكال فقال سبحانه
 ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا
 مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَيْهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٤]

والجزاء لا يكون إلا على تكليف وغير المكلف لا يُجعل له ثواب ولا عقاب ولذا
 يوم القيامة يجعل الله غير المكلفين من الحيوانات ترابا وأما المكلف بالقيام بهذه
 الغاية العظيمة يُجعل له الثواب والعقاب والجزاء فإذا عاين ذلك من ضيع هذه

الأمانة وفراط في هذه الغاية يتمنى أن لو كان حيوانا لم يكلف في الدنيا فلا يعاقب في الآخرة بل يصير ترابا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النبا: ٤٠]

عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا له حكم الرفع "إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة و طائر و إنسان ، يقول للبهائم و الطير : كونوا ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾" . أخرجه ابن جرير صححه الألباني (١)

ومن أجل تلك الغاية الشريفة وتحقيقها شرع ربنا الشرائع وأرسل الرسل وأنزل الكتب قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى: ١٣]

قال القرطبي رحمه الله : أي اجعلوه قائما، يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب، فمن الخلق من وفي بذلك ومنهم من نكث ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿١٠٠﴾ هـ. (٢)

وبين سبحانه أنه ما خلق ما على الأرض زينة لعباده إلا للقيام بهذه الغاية العظيمة فقال جل وعلا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ [الكهف: ٨]

(١). صحيح. ابن جرير السلسلة الصحيحة تحت حديث [١٩٦٦]

(٢). عند تفسيره لسورة [الشورى آية: ١٣]

قال ابن إسحاق : أي أيهم اتبع لأمرى وأعمل بطاعتي. ١٠هـ^(١)
أسأل الله بمنه وكرمه أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته اللهم
أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وجعل للوصول إليه
طرائق واضحة وسبلا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها
عالي الجنان نزلا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أقوم الخلق دينا وأهداهم سبلا صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما .
أيها الناس .:

وقد جعل الله لكل مخلوق عبادة خاصة به من السماوات والأرضين والحيوان
والشجر والحجر والجبال والشمس والقمر وغير ذاك مما خلق الله ، وكلُّ يقوم بما
أوجب الله عليه وما خلِقَ من أجله

(١) . تفسير القرطبي عند تفسيره لسورة [الكهف: ٨]

فتأملوا قول ربنا سبحانه مخبرا عن السماوات والأرض وطاعتهن لمولاهن
وباربهن قال الله سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]

وتأملوا إلى سجود المخلوقات له قال الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]

وقال سبحانه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلِّلُهم بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥]

وقال جل وعلا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلُّلُهُ عَنْ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل]

وقال سبحانه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]

فالجمادات قائمة بعبودية التسبيح والسجود للملك المعبود سبحانه وتعالى

وكل ما خلق الله قائم بما خلق له فالسماوات على عظم علوها وارتفاعها تقوم
بهذه الغاية العظمى والشمس على قوتها وشدة حرارتها تقوم بذلك ولا تتخلف
عن أمر ربها وما خلقت له طريقة عين قال الله تعالى ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ
النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٤٠]

بل تأمل إلى هذا الحديث العظيم عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ" قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "فَإِنَّمَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ثُمَّ قَرَأَ {ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا}. متفق عليه (١)

وتأملوا قول ربنا سبحانه مخبرا عن السماوات والأرض وطاعتهن لمولاهن وباريهن قال الله سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ١١]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]

وغير ذلك من الآيات التي سبق ذكر بعضها فالجملات قائمة بعبودية التسبيح

والسجود للملك المعبود سبحانه وتعالى

وقد أنكر جل وعلا على من ظن أنه خلق الخلق سدى وهملا لا يكلف ولا يؤمر ولا ينهى

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْفِثُ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾ [القيامة: ٤٠]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منه في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. ١. هـ (١)

وقال جل وعلا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦]

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ : أي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها، مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) [القيامة: ٣٦]

يريد كالبهائم مهملاً غير فائدة. قال الترمذي الحكيم: إن الله تعالى خلق الخلق عبداً ليعبدوه، فيثيهم على العبادة ويعاقبهم على تركها، فإن عبدوه فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا، ملوك في دار الإسلام، وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لثام، وغدا أعداء في السجون بين أطباق النيران

١. هـ ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فتجاوزون بأعمالكم. ١. هـ (٨)

٢. فيا عبد الله إنك لم تخلق عبثاً ولم تترك سدى إنما خلقت لغاية عظيمة ومنزلة رفيعة كريمة وهي عبادته سبحانه والقيام بدينه وشرعه .

(١). عند تفسيره لسورة [القيامة: ٤٠]

(٢). تفسير القرطبي عند تفسيره لسورة [المؤمنون: ١١٦]

فإن الله سبحانه وتعالى خلقك لعبادته وأوجدك لطاعته فقم بما خلقك الله له وأدي ما افترضه الله عليك.

فالمخلوقات كلها قائمة لما خلقت له فهل تكون السماوات والجبال والأرض التي تمشي عليها أفضل منك وأعز عند الله .

واعلم عبد الله أن عبادتك لربك ليست عبادة موسمية وعبادة آنية وقتية وإنما هي عبادة مستمرة لا تنقطع حتى يأتيك الموت ويدهمك الفوت وينصرم الأجل قال الله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

فإن دين الله مستمر لا ينقطع ولا ينصرم قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلِلَّهِ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، وَيَبْدِيهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَهُ الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ دَائِمًا ثَابِتًا وَاجِبًا. ١.هـ^(١)

فملك ربنا ملك لا ينقطع وكذلك طاعته دائمة لا تنقطع قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: وَالْمُرَادُ بِالذِّينِ فِي الْآيَاتِ: طَاعَةُ اللَّهِ بِامْتِثَالِ جَمِيعِ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ جَمِيعِ النَّوَاهِي... وَقَوْلُهُ ﴿وَاصِبًا﴾ أَي: دَائِمًا، أَي: لَهُ - جَلَّ وَعَلَا - : الطَّاعَةُ وَالذُّلُّ وَالْخُضُوعُ دَائِمًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَضَعُفُ سُلْطَانُهُ، وَلَا يُعْزَلُ عَنْ سُلْطَانِهِ،

وَلَا يَمُوتُ وَلَا يُغْلَبُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُ حَالٌ بِخِلَافِ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ
يَكُونُ مُطَاعًا لَهُ السُّلْطَانَةُ وَالْحُكْمُ ، وَالنَّاسُ يَخَافُونَهُ وَيَطْمَعُونَ فِيهَا عِنْدَهُ بَرْهَةٌ مِنَ
الزَّمَنِ ، ثُمَّ يُعْزَلُ أَوْ يَمُوتُ ، أَوْ يُذَلُّ بَعْدَ عِزٍّ ، وَيَتَضَعُ بَعْدَ رِفْعَةٍ ؛ فَيَبْقَى لَا طَاعَةَ لَهُ
وَلَا يَعْجَبُ بِهِ أَحَدٌ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ ، وَكَبْرُهُ تَكْثِيرًا ۝ ١٠١ هـ (١)

فيا أيه العبد إن الله جل وعلا أراد منك أنت تموت مسلما قانتا لله وهذا يستلزم
ثباتك على طاعته وعبادته قال الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وقال سبحانه عن عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]

وقال سبحانه عن يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ
وَعَلَّمَنِي مِمَّا تَوَلَّى الْآحَادِيثَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
مُسْلِمًا وَالْحَقْقِي بِالصِّدْقِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

فأدم عبد الله لربك عبوديتك والزم لخالقك طاعتك ولمولاك هدايتك فإنك لم
تخلق إلا لذلك أسأل الله بمنه ومكرمه أن يعيننا وإياكم على ذكره وحسن عبادته .
وأن يرزقنا وإياكم الهدى والتقى والعفاف والغنى والهدى والرشاد والتوفيق
والسداد .

(١) . عند تفسيره لسورة [النحل آية ٥٢]

الله أصلح ولاية أمرنا ووفقهم البطانة الصالحة التي تحثهم على الخير وتدلهم عليه.

اللهم احفظ علينا ديننا وعقيدتنا واكفنا شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الكريم.